السبب الحقيقي الذي يجعلنا جميعا منزعجين من كوينتن تارانتينو (ترجمة)

كتبتها إيلين جونز ونشرتها "حاكوبين" في 12.28.2025

من دون أن يقدّم سوى نسخة جديدة من فيلم *Kill Bill*، دخل كوينتن تارانتينو في شبه تقاعد في اللحظة ذاتها التي كانت فيها السينما الأميركية تقاتل من أجل بقائها. وكأنّ ذلك لا يكفي، فهو لا يتوقّف عن إطلاق الكلام الاستفزازي.

كل المراجعات المبهرة للنسخة التي تمتد أربع ساعات وإحدى وأربعين دقيقة من *Kill Bill* - الذي صدر أساساً كفيلمين منفصلين في عامي 2003 و2004 - تبدو قراءة مقززة إذا ذهبت فعلاً وشاهدت الفيلم اللعين، الذي يحمل الآن عنوان *Kill Bill: The Whole Bloody Affair*. فالتغييرات قليلة إلى حدّ الصدمة. هو في الجوهر الجزآن الأولان ملتصقان ببعضهما، مع استراحة مدتها خمس عشرة دقيقة في الوسط، وهو تأثير يمكن تحقيقه في المنزل ببساطة عبر مشاهدة الفيلمين مع استراحة طويلة للحمّام بينهما.

للتذكير، *Kill Bill* هو ملحمة قاتلة محترفة تُدعى بياتريكس كيدو (أوما ثورمان)، تخرج من غيبوبة استمرت أربع سنوات وتسعى إلى انتقام طويل ودموي من معلّمها وعشيقها السابق بيل (ديفيد كارادين) ومن فرقة الاغتيالات التي كادت تقتلها.

حين تستيقظ بياتريكس أخيراً، يبدو أنها فقدت أيضاً الطفل الذي كانت تحمله. وهذا سبب جوهري آخر يجعلها، في قائمة عمليات القتل الانتقامية التي تخطّط لها وتدوّنها بعناية في دفتر، تضع قتل الأب الحقيقي للطفل في النهاية، بعد قتل أعضاء فرقة الاغتيال: فيرنيتا غرين (فيفيكا أ. فوكس)، أو- رين إيشي (لوسي ليو)، إل درايفر (داريل هانا)، وشقيق بيل، باد (مايكل مادسن). ثم تعلن أخيراً: "سأقتل بيل".

هناك في الحقيقة أربعة تغييرات رئيسية فقط في هذه النسخة الجديدة. أولاً، ضاعف تارانتينو مدة مشهد الأنيمي، مستعرضاً الخلفية القصصية لرئيسة الياكوزا القوية أو- رين إيشي. ثانياً، أُعيدت مشاهد العنف المفرط بالأبيض والأسود في مشهد ملهى طوكيو الليلي شديد الدموية إلى ألوانها القرمزية الكاملة. ثالثاً، أُدرجت بعض مواد "الانتقال"

من افتتاح *Kill Bill: Vol. 2*، المصوّرة بالأبيض والأسود على غرار بعض أفلام الموجة الفرنسية الجديدة، لتُعرض الآن خلف شارة النهاية. رابعاً، حُذفت الخاتمة القصيرة في نهاية *Kill Bill: Vol. 1*، التي كانت تتضمّن تعليقاً صوتياً لبيل يكشف أن طفل بياتريكس لم يمت في مجزرة حفل الزفاف بعد كل شيء.

في المراجعات المبهرة ستقرأ أن *Kill Bill: The Whole Bloody Affair* لا يمكن تقديره بالكامل إلا الآن بوصفه التحفة التي هو عليها. هذه النظرة المألوفة التي تمجّد "المؤلف" وتسوّق كل "نسخة المخرج" على أنها كاشفة، بعد تحريرها من التأثيرات الدنيئة للمنتجين التنفيذيين ومديري الاستوديوهات المتدخّلين والطامعين بالمال. وأحياناً تكون نسخ المخرج كاشفة فعلاً. لكن أحياناً أخرى تكون مطوّلة أكثر من اللازم ومثقَلة بمواد غير ضرورية تحجب أثر الأفلام التي تحبها أصلاً. أو، كما في هذه الحالة، لا تُحدث فرقاً يُذكر.

القرار الأصلي بتقسيم *Kill Bill* إلى إصدارين منفصلين، خلافاً لاعتراضات تارانتينو، اتّخذه المنتج هارفي واينستين من استوديو ميراماكس الذي كان مزدهراً آنذاك. وبالنظر إلى ما جرى في السنوات اللاحقة، مع إدانة واينستين بالاغتصاب والاعتداء الجنسي وحكمه بالسجن ستة عشر عاماً، لا أحد يرغب في الوقوف إلى جانب واينستين في أي شيء. لكن لا بدّ من الاعتراف بأن أي منتج تقريباً كان سيختار الإصدار الثنائي نفسه، لأسباب عملية بحتة. فالعروض ذات المدة القياسية تعني جمهوراً أكبر وأرباحاً أعلى. وحتى بالنسبة لفيلم "حدث خاص" مثل *Kill Bill: The Whole Bloody Affair*، من الصعب إقناع من ليسوا من عشّاق السينما المتحمسين بالالتزام بمدة عرض تقارب خمس ساعات.

إرث تارانتينو نفسه تلطّخ إلى حدّ كبير منذ ذروة *Kill Bill* - ومن الجدير بالذكر أنه حتى في ذلك الوقت كان شخصية مزعجة، صادف أن امتلك مهارات إخراجية لا يمكن إنكارها. لكن منذ الإصدار الأصلي لـ*Kill Bill*، ظهرت جوانب أكثر قتامة في مسيرته. ففي علاقته الطويلة مع هارفي واينستين، اعترف بأنه "كان يعرف ما يكفي ليقوم بأكثر مما فعل" حيال عادات واينستين الافتراسية البغيضة. وهذا لافت بشكل خاص بالنظر إلى صداقته الإبداعية الوثيقة مع أوما ثورمان أثناء صنع *Kill Bill*. فقد كانت واحدة من نساء كثيرات في هوليوود يحاولن صدّ تحرّشات واينستين الجنسية العدوانية.

في عام 2018، أعلنت ثورمان علناً اتهاماتها ضد واينستين، وفي المقابلات نفسها وجّهت أيضاً شكاوى جدّية بشأن

السبب الحقيقي الذي يجعلنا جميعا منزعجين من كوينتن تارانتينو (ترجمة)

سلوك تارانتينو أثناء صنع *Kill Bill*. وعلى الرغم من أن تارانتينو وضع في شارة الفيلم إشارة إلى تعاونهما الإبداعي "Q and U"، فإنه انخرط أيضاً في أفعال سادية موجّهة ضد ثورمان صُمّمت لتظهر في الفيلم. ففي مشهد قتال الـ Crazy 88s مثلاً، عندما تقوم القاتلة المراهقة غوغو (تشياكي كوريياما) بخنق بياتريكس بسلسلة، ما يجعل وجهها يحمرّ وعينيها تبرزان، كان تارانتينو نفسه هو من يشدّ السلسلة خارج إطار الكاميرا. وعندما يظهر باد وهو يبصق عصير التبغ في وجه بياتريكس، كان تارانتينو هو من يبصق خارج الكاميرا. والأخطر من ذلك، أن تارانتينو أصرّ على أن تقود ثورمان بنفسها سيارة متهالكة، متجاهلاً طلبها أن تقوم بذلك ممثّلة بديلة:

"دخل كوينتن إلى المقطورة الخاصة بي ولم يكن يحب سماع كلمة لا، مثل أي مخرج"، تقول. "كان غاضباً لأنه تسبّبت لهم بإضاعة الكثير من الوقت. لكنني كنت خائفة. قال: 'أعدك أن السيارة بخير. الطريق مستقيم.'" أقنعها بالقيام بذلك، ووجّهها قائلاً: "'سيري بسرعة أربعين ميلاً في الساعة وإلا فلن يتطاير شعرك بالطريقة الصحيحة وسأجعلك تعيدين المشهد.'" لكن ذلك كان صندوق موت كنتُ فيه. المقعد لم يكن مثبّتاً جيداً. الطريق رملي ولم يكن مستقيماً."

أسفر حادث السيارة عن إصابة ثورمان بارتجاج خطير في الدماغ، إضافة إلى إصابات في الرقبة والركبتين. ورفض تارانتينو أن يتيح لها الاطلاع على لقطات الحادث إلا بعد خمسة عشر عاماً، في ما اعتبره فعلاً من أفعال التكفير عن حادث ندم عليه. وقالت ثورمان: "ليس أن ذلك يهمّ الآن، مع رقبتي المتضرّرة بشكل دائم وركبتيّ المدمّرتين."

مؤخراً، وخلال إعادة العرض السينمائي لـ *Kill Bill: The Whole Bloody Affair*، عاد تارانتينو إلى الأخبار بسيل مفاجئ من التعليقات غير المطلوبة التي يهاجم فيها ممثلين لا يحبّهم. ففي مقابلة واسعة التداول، ادّعى تارانتينو أن فيلم *There Will Be Blood* لبول توماس أندرسون كان سيكون أفضل لولا بول دانو، الذي وصفه بأنه "أضعف ممثل في نقابة الممثلين"، وغير قوي بما يكفي للوقوف أمام دانيال داي-لويس وجعل الفيلم "ثنائياً" كما كان ينبغي: "إنه ضعيف جداً، يا رجل. إنه أخت ضعيفة."

وأضاف تارانتينو إلى قائمة الممثلين الذين يحتقرهم أوين ويلسون وماثيو ليلارد. وأشار ليلارد بوضوح إلى أن تارانتينو يستهدف ممثلين يفتقرون إلى القوة في تصنيفات النجومية الحالية: "لن تقول ذلك لتوم كروز. لن تقول ذلك لشخص من الصف الأول في هوليوود."

السبب الحقيقي الذي يجعلنا جميعا منزعجين من كوينتن تارانتينو (ترجمة)

لكن يبدو أن تارانتينو بات يتعمّد إثارة الجدل في الآونة الأخيرة، فيما يُظهر اهتماماً متراجعاً أكثر فأكثر بصنع الأفلام فعلياً. دعمه القوي لإسرائيل منذ زواجه من زوجته الإسرائيلية دانييلا بيك وانتقاله إلى تل أبيب مع طفليهما، قيل إنه شمل جولة في قاعدة عسكرية "لرفع معنويات الجيش الإسرائيلي"، ودعم الجنود الذين يخوضون حرباً ويرتكبون إبادة جماعية في فلسطين.

وقد صرّحت بيك بفخر في مقابلة حديثة أن تارانتينو لم يفكّر أبداً في مغادرة إسرائيل لأسباب تتعلق بالسلامة مع تساقط القنابل. بل نُقل عنه قوله: "حسناً، أياً يكن. إذا حدث شيء ما، سأموت كصهيوني."

في الأثناء، ألغى فيلمه العاشر وربما الأخير بعد أن أدرك، إثر كتابة السيناريو، أنه لا يملك اهتماماً حقيقياً بتصويره. "كل عنوان لتارانتينو يعد بالكثير، باستثناء *The Movie Critic*"، شرح. "من يريد مشاهدة فيلم بعنوان *The Movie Critic*؟" لا تزال هناك شائعات عن أن تارانتينو سيصنع فيلماً مختلفاً وربما أخيراً، لكن ليس في الوقت القريب. وبدلاً من ذلك، يدّعي تارانتينو أنه "متحمّس جداً للمسرح الحي الآن".

بشكل متزايد، فقد كوينتن تارانتينو بريقه لدى كثير من محبّي السينما الذين يعجبون بموهبته السينمائية التي لا يمكن إنكارها، لكنهم سئموا من تصرّفاته العلنية المتعبة ذات النزعة الذكورية المتصنّعة. ومع ذلك، يحتفظ بقاعدته المضمونة من المعجبين من فئة "الدود برو" الذين يقدّسون عدوانيته الصاخبة ذات الطابع الهوسي ويدافعون عنه في وجه أي ردود فعل سلبية على وسائل التواصل الاجتماعي.

وإرث تارانتينو من النجاحات عالية-الأوكتان يجعله محصّناً في هوليوود، حيث من الواضح أنه سيكون دائماً مرحّباً به ليعود بقوة، مهما طال ابتعاده. لكنه الآن، شبه المتقاعد من صناعة السينما، لا يملك شيئاً إيجابياً ليقوله عن حالها الراهنة، وهو أمر مفهوم. كما يجادل في مقابلة حديثة، مفسّراً لماذا هجر صناعة الأفلام إلى المسرح:

"إنجاز [مسرحية] كهذه أمر جلل بحق... لكن صناعة الأفلام؟ ما هو الفيلم الآن؟ ماذا؟ شيء يُعرض في الصالات لإطلاق رمزي لمدة أربعة أسابيع لعينها؟ حسناً، وفي الأسبوع الثاني يمكنك مشاهدته على التلفزيون. لم أدخل هذا المجال من أجل عوائد متناقصة."

هو محق بشأن حال هوليوود. لكن ما يزيد الإزعاج أن شخصاً فظّاً بهذا القدر يطلق السباب من على الهامش، في حين أن ما نحتاجه حقاً من كبار مخرجينا - ولا سيما أولئك، مثل تارانتينو، الذين يملكون أكبر قدر من النفوذ - هو أن ينضمّوا إلى الصفوف الأمامية في المعركة الوجودية من أجل السينما الأميركية.

ستيفن سبيلبرغ، الذي يكبر تارانتينو بنحو عشرين عاماً، يعود بقوة إلى ساحة المعركة بفيلم خيال علمي أصلي ضخم بعنوان *Disclosure Day*. مارتن سكورسيزي، في الثالثة والثمانين من عمره، على وشك البدء بتصوير *What Happens at Night*. وفي وقت سابق من هذا العام، بذل صديق تارانتينو بول توماس أندرسون جهداً كبيراً لإحياء الأفلام السينمائية الكبرى غير القائمة على الملكيات الفكرية للكبار، من خلال *One Battle After Another*. أما كريستوفر نولان فلم يكتفِ بإنهاء التصوير الرئيسي لفيلمه الطموح للغاية *The Odyssey*، بل كان - بصفته الرئيس المنتخب حديثاً لنقابة المخرجين - القوة الدافعة وراء بيان علني غير مسبوق، ومرحب به جداً، من النقابة، يعبّر عن "مخاوف" بشأن احتمال استحواذ نتفليكس على وارنر براذرز:

"نحن نؤمن بأن صناعة نابضة بالحياة وتنافسية - تشجّع الإبداع وتدعم المنافسة الحقيقية على المواهب - أمر أساسي لحماية مسيرات وحقوق المخرجين وفرقهم الإبداعية. سنلتقي مع نتفليكس لعرض مخاوفنا..."

ثم هناك تارانتينو - أحد آخر صانعي الأفلام في هوليوود القادرين على فرقعة أصابعه وحشد المواهب والتمويل لمشاريع غير قائمة على الملكيات الفكرية - مستلقياً في الصف الخلفي ويقذف كرات الورق، رافضاً العودة إلى العمل. وبدلاً من ذلك، يعيد تدوير فيلمه الذي يتجاوز عمره العشرين عاماً مع إضافات أو تعديلات طفيفة، ويسمّيه شيئاً جديداً. ولو كان عليّ أن أخمّن، لقلت إن هذا هو على الأرجح السبب الشامل الذي يجعل تارانتينو أكثر إزعاجاً من المعتاد هذه الأيام.

لأن الفيلم الأميركي الآن يخوض معركة من أجل حياته. وقد حمل أقران تارانتينو السلاح جميعهم - متحدّين أنفسهم كما لم يفعلوا من قبل بمشاريع ضخمة وطموحة خصيصاً للشاشة الكبيرة (ونأمل لجماهير كبيرة).

حان الوقت لأن ينضمّ تارانتينو مجدداً إلى الصفوف الأمامية، وأن يبذل محاولة أخيرة لإنقاذ هذا الوسيط الذي نحبّه

جميعاً. افعل ذلك يا كوينتن، ويمكنك بعدها أن تطلق كل ما تشاء من السباب، أعدك.

الكاتب: رمان الثقافية